

إيران وتحدي العبء النجفية

باستثناء ميليشيات مذهبية وإثارة للغرائز.

باتت إيران الدولة الأولى التي يزورها رئيس الوزراء العراقي

مصطفى الكاظمي بعد تشكيل

حكومته. كان مفترضا أن يبدأ جولته

الخارجية بالسعودية، لولا اضطراب

الملك سلمان بن عبدالعزيز إلى دخول

المستشفى فجأة لإجراء جراحة

استئصال المرارة. ارتدت الزيارة

أهمية خاصة نظرا إلى أنها ستكشف

هل هناك في إيران من هو مستعد

إلى الارتقاء إلى مستوى الأحداث

الخطيرة التي تشهدها المنطقة

والتعاطي معها بمزيد من التعقل بدل

تجاهل الواقع الجديد. يتمثل هذا

الواقع بالحاجة إلى استيعاب معنى

أن هناك إدارة أميركية مختلفة اتخذت

قرارا برفض عقوبات على إيران.

هذا القرار الأميركي بمواجهة

إيران ومشروعها التوسعي ليس

قرارا مرتبطا بإدارة دونالد ترامب

بمقدار ما أنه مرتبط بسياسة أميركا

والمؤسسة العسكرية والأمنية. هذه

السياسة مستمرة حتى لو لم يعد

ترامب إلى البيت الأبيض في ضوء

نتائج انتخابات تشرين الثاني -

نوفمبر المقبل. معنى ذلك، أن الرهان

على تغيير ترامب ليس رهانا بمقدار

ما أنه وهم من الأوهام يشبه إلى

حد كبير وهم "تصدير الثورة" الذي

نادى به الخميني والذي أوصل إيران

إلى العزلة التي وصلت إليها والتي

جعلتها ترتدي أخيرا في الحضن

الصيني.

زادت أهمية إيران بالنسبة إلى

العراق منذ العام 2003 عندما اتخذت

إدارة جورج بوش الابن، بسبب

جهلها بالمنطقة أو ربما لأسباب

خاصة بها، تسليم العراق على صحن

فضة إلى إيران. كانت تلك فرصة

أتاحها أميركا لإيران التي تصرفت

تصرف الوصي على العراق "تجاهلت

كلها أن العراقيين ليسوا مستعدين

لأن يكون بلدهم مستعمرة إيرانية.

ما يظهر واضحا في السنة 2020

أن إيران التي ما زالت تحلم بنجاح

مشروعها التوسعي ترفض إقامة

علاقات متوازنة مع العراق، علاقات

تأخذ في الاعتبار أن ذلك يصيب في

مصلحة البلدين اللذين يمزج بطروف

في غاية الصعوبة، تفرض هذه

الظروف، أول ما تفرضه، نقلة نوعية

خير الله خير الله

إعلامي لبناني

لا يمكن تجاهل أهمية إيران بالنسبة إلى العراق، وذلك بغض النظر عن كل سلبات العلاقة بين البلدين في السنوات الستين الماضية، منذ الانقلاب العسكري الدموي الذي أطاح بالنظام الملكي في العراق في الرابع عشر من تموز - يوليو 1958. كان ذلك آخر يوم أبيض يشهده العراق منذ نشأته.

هناك مصلحة مشتركة في قيام علاقات طبيعية، بل أكثر من طبيعية بين البلدين الجارين. الحاجة قبل كل شيء إلى علاقة متوازنة بين البلدين يتمتع المسؤولون فيهما بحذ أدنى من النضج بعيدا عن الانفعالات والرغبة في الانتقام وتصفية الحسابات القديمة، بما في ذلك حرب السنوات الثماني.

ليس لدى إيران ما تقدمه إلى العراق وليس لدى العراق ما يعطيه إلى إيران هذا عائد بكل بساطة إلى أن إيران فشلت في أن تكون قوة اقتصادية فيما فشلت العراق في إقامة نظام قابل للحياة

تتحلل إيران المسؤولية الأكبر عن اندلاع تلك الحرب، على الرغم من أن العراق، في عهد صدام حسين، كان المبادر إلى الهجوم. كان للاستفزازات العراقية دورها في جعل صدام يقدم، كما عادت، على رد فعل يتسم بالارتجال والانفعال والعشوائية والعنف بدل اللجوء إلى العقل وإلى معالجة سياسية لموضوع في غاية الخطورة، هو موضوع شعار "تصدير الثورة". لا تزال إيران تعاني إلى الآن من عقدة "تصدير الثورة" التي نادى بها مؤسس "الجمهورية الإسلامية" آية الله الخميني الذي لم يدرك يوما أن ليس لدى إيران ما تصنّره



أن إيران فشلت في أن تكون قوة اقتصادية، فيما فشلت العراق في إقامة نظام قابل للحياة منذ سقوط نظام صدام حسين. الأكيد أن نظام صدام لم يكن من النوع الذي له علاقة بالعصر وما يدور في المنطقة، لكن المستغرب أن يكون الوضع العراقي ساء إلى درجة أنه بات هناك من يترحم عليه حاليا، خصوصا بعد انتشار الفساد بطريقة لا يشبه لها في أي بقعة من بقاع الأرض بعد العام 2003.

هل ترفع إيران إلى مستوى التحدي الذي جاءت به زيارة مصطفى الكاظمي والعباءة التي حملها كهدية؟ مثل هذا الأمر لا يزال مستبعدا في غياب قدرة المتحتمين بـ"الجمهورية الإسلامية" على التصالح مع الواقع، مع الإيرانيين أولا ومع أن العراق هو العراق وإيران هي إيران.

بين 2003 و2020، تغيرت أمور كثيرة بين العراق وإيران. في النهاية، لا تزال إيران أذرعها الكثيرة في العراق، لكن الذي تبيّن مع مرور الزمن أن من الأفضل لها التوقف عند حدود معينة وأن تفكر في أنها لن تتمكن في يوم من الأيام من وضع يدها على العراق. صار العراق بلدا فقيرا. إنه بلد مدمر يتكل على النفط ولا شيء آخر غير النفط. جرت منذ العام 2003 عملية نهب منظمة لعائدات العراق من النفط. شاركت في هذه العملية أذرع إيران في العراق. مع آخرين. لم يعد هناك الآن ما يمكن نهبه. تستطيع الدولة العراقية بالكاد دفع رواتب موظفيها.

ليس لدى إيران ما تقدمه إلى العراق وليس لدى العراق ما يعطيه إلى إيران. هذا عائد بكل بساطة إلى

بسمع هشام داوود مستشار رئيس الوزراء العراقي يفسر معنى تلك الهدية، يكتشف ذلك التوق العراقي إلى استعادة العراق. ففي حديث أدلى به إلى فضائية "الحرة"، أعطى هشام داوود تفسيره لمعنى هدية اسمها العبء النجفية. قال بكل بساطة أن من لديه مثل هذا العبء لا يحتاج إلى عباءة أخرى. ما لم يقبله أن العراق هو العراق وأنه لا يحتاج إلى عباءة إيرانية من أي نوع.

يبحث العراق عن تموضع جديد في المنطقة وإلى استثمارات خليجية عربية. يدرك أن وضعه الاقتصادي في غاية السوء وأن لديه أولويات التي لا تتفق بالضرورة مع الأولويات الإيرانية. من الواضح أن لا دعاء عراقيا لإيران، لكن لا رغبة في الوقت ذاته في الرضوخ لها.

في كيفية التفكير في طبيعة العلاقات العراقية - الإيرانية. يظهر من زيارة مصطفى الكاظمي ل طهران ولقاءه مع "المرشد" علي خامنئي ومع رئيس الجمهورية حسن روحاني أن "الجمهورية الإسلامية" لم تتخلص بعد من كل أوهامها العراقية. كل ما حاول رئيس الوزراء العراقي عمله هو حمل "الجمهورية الإسلامية" على التصالح مع الواقع. أي أن تتصالح مع نفسها أولا ومع العراق ثانيا ومع موازين القوى في العالم ثالثا وأخيرا.

كانت زيارة مصطفى الكاظمي تحديا بالنسبة إلى إيران، خصوصا أنها أتت معها برموز كثيرة من بينها العبء النجفية التي حملها رئيس الوزراء العراقي كهدية إلى خامنئي. تحدت العبء الإيراني.

داعمون ورافضون عرب لمصر

بمفهومها السياسي والاقتصادي. من ينظر إلى مصر اليوم عبر هذه الزاوية ربما يتفهم منطوق الدولة في تعاملها مع الأزمات المتراكمة، التي يكفي التهاون أو الإخفاق مع إحداها لهدم أركان دولة كانت معرضة فعلا إلى سيناريو شبيه لما جرى في سوريا أو غيرها، واختارت طريقا صعبا وواجهت القوى التي مثلت خطرا حقيقيا عليها حتى استعادت عافيتها.

انتهت الصورة النمطية التي كونها البعض من الأصدقاء العرب عن مصر، سلبا أو إيجابا، فهناك تحولات كبيرة جرت في المشهد العام، البعض يعتبرونها تميل إلى خسارة الموروث المعنوي لهذه الدولة وفقدان مركزيتها، وكلما حطت خطوة في مجال الأمن أو ما يوصف بـ"العسكرة" في أدبيات غربية تراجعت خطوات في الحريات. والبعض الآخر يرى أن الواقع يفرض طوقسه لتبني سياسات قادت إلى تغير في ترتيب المصنوفة السياسية، ما جعل الأمن يتقدم على الحرية، وتخفيف الأزمات الاقتصادية أهم من حقوق الإنسان في صورتها التقليدية، ومواجهة التهديدات الخارجية بصرامة لا تنسجم مع الاندفاع وراء جرعات واسعة من الديمقراطية.

الاتفاق أو الاختلاف مع هذا التوصيف لن يغير في الأمر شيئا، لكن من المهم مراعاة طريقة التفكير عند الحكم مع أو ضد الموقف السياسي من هذه الأزمة أو تلك، ومعرفة الواقع الذي يتم فيه صناعة القرار والحسابات التي تتحكم في اتخاذه. كشف التعامل الغاشم مع التظاهرات والاحتجاجات التي اندلعت في الولايات المتحدة وفرنسا مؤخرا، وهما من أعرق الدول في مجال الحريات، أن التمسك بمعايير الأمن مقدم على ثوابت القيم الليبرالية

السياسي لحكومة الوفاق، وتجاهل كل ما يندرج تحت بند تهديد الأمن القومي المصري وحصر رؤيته في زاوية ضيقة، وسعى إلى تحريض المواطنين على قيادتهم دون أن يلتفت إلى طبيعة التغير الحاصل في أجندة الأولويات.

انتهت الصورة النمطية التي كونها البعض من الأصدقاء العرب عن مصر، سلبا أو إيجابا، فهناك تحولات كبيرة جرت في المشهد العام، البعض يعتبرونها تميل إلى خسارة الموروث المعنوي لهذه الدولة وفقدان مركزيتها، وكلما حطت خطوة في مجال الأمن أو ما يوصف بـ"العسكرة" في أدبيات غربية تراجعت خطوات في الحريات. والبعض الآخر يرى أن الواقع يفرض طوقسه لتبني سياسات قادت إلى تغير في ترتيب المصنوفة السياسية، ما جعل الأمن يتقدم على الحرية، وتخفيف الأزمات الاقتصادية أهم من حقوق الإنسان في صورتها التقليدية، ومواجهة التهديدات الخارجية بصرامة لا تنسجم مع الاندفاع وراء جرعات واسعة من الديمقراطية.

الاتفاق أو الاختلاف مع هذا التوصيف لن يغير في الأمر شيئا، لكن من المهم مراعاة طريقة التفكير عند الحكم مع أو ضد الموقف السياسي من هذه الأزمة أو تلك، ومعرفة الواقع الذي يتم فيه صناعة القرار والحسابات التي تتحكم في اتخاذه. كشف التعامل الغاشم مع التظاهرات والاحتجاجات التي اندلعت في الولايات المتحدة وفرنسا مؤخرا، وهما من أعرق الدول في مجال الحريات، أن التمسك بمعايير الأمن مقدم على ثوابت القيم الليبرالية

تنويريا ومستقلا، ما جعلني أهتم بكلامه الذي حصر أي تدخل مصري محتمل في نصرة المشير خليفة حفتر قائد الجيش الوطني الليبي، والرغبة في تصعيد طبقة عسكرية للحكم في طرابلس، والتخلص من واحة الحرية التي تنعم فيها ليبيا حاليا.

أعلنت القاهرة أكثر من مرة أهمية الحفاظ على المؤسسة العسكرية النظامية في كل الدول العربية، وفسرت منطوقها لدورها في منع انهيار الدول، طالما كانت عقيدتها تستند على منطلقات وطنية، وتأييد المشير حفتر أو أي قائد عسكري وطني ليس خافيا، كما أنه لا يبرر واد الحريات أو دفن الديمقراطية. لم ينتبه الرجل لآلاف المرتزقة والإرهابيين الذين تزج بهم تركيا، وتغافل عن العصابات المسلحة التي تتحكم في مفاصل القرار



التحديات تكاد تكون متقاربة، وأسهم القياس على هذه المنظومة والاستفادة من عبرها في تجاوز عقبات كثيرة. لذلك عندما يقف المراقب أو المتابع العربي عليه أن ينظر إلى الحالة المصرية بشكل محايد، ولا يكون متأثرا بدعاية نشطة ومغرضة، ففي النهاية القوة المصرية رصيد يمكن الارتكان عليه عربيا.

فاجاني أكاديمي جزائري بحديث عن مصر وكأنها تعيش على بركان من الغضب القاتل ضد قرار التدخل العسكري في ليبيا، وسوف تنهار على الفور إذا أقدمت على هذه الخطوة، وتواجه ثورة عارمة في الشارع، ولا يبري أن هذا الموقف عزز الائتلاف خلف القيادة السياسية، لأن الشعوب تطرب للحرب أكثر من السلام. كنت أتفهم دوافعه لو أنه ينتمي إلى تنظيم الإخوان، لكنه يعتبر نفسه متقفا

محاسبة لأحد، أو استقطابا ونفيا لآخرين في الداخل والخارج، لكن لمن يريد التعرف على الواقع المصري من الواجب عدم حصره في الديمقراطية والحريات وحقوق الإنسان وكفي، وكلها ضرورية ومعطوية الآن في مصر، فالتطورات التي تمر بها المنطقة وما لحق ببعض الدول من انتكاسات جعل هذا التصنيف لا يحل أولوية لدى شريحة كبيرة من المصريين، إذا اعتبرنا هؤلاء الترمومتر أو المحرار الذي تقاس به نسبة الرضا والغضب. انتبه النظام المصري إلى هذه القضية مبكرا، ولم يعبا بالضغوط التي مورست عليه لاتخاذ خطوات جادة للإصلاح السياسي، ومضى في الطريق الذي رسمه لنفسه، والذي يقوم على توفير الأمن والاستقرار والحفاظ على وحدة الدولة والابتعاد عن مصير دول مجاورة تعاني من تآكل هيكلها الرئيسية، والحض على تكاتف الجبهة الداخلية وتحسين الأوضاع المعيشية ومنح الأمل في المستقبل، وحقق تقدما لافتا على هذه الجبهات وينسب متفاوتة، ما وفر له جرة في التخلي عن حذره السابق. يقاس عمق النجاح أو الفشل بالمرود السلب للجهود التي بذلت لتكسیر عظام المصريين، حيث تعرضت الدولة على مدار السنوات الماضية لأكثر حملة تشهير سياسي وأمني واقتصادي واجتماعي، لم تستطع النيل منها تماما أو من نظامها الحاكم، ليس لوجود قوة خارقة تحميها، لكن بسبب القدرة على استيعاب دروس مراحل غابرة تحمّلت الدولة فيها تكاليف باهظة. ربما تختلف الجهات والقضايا والتوقيعات والأماكن، غير أن

داعمون ورافضون، أو العكس، مفردتان خرجتا من جوهر نقاشات متعددة تدور على مواقع التواصل الاجتماعي وكتابات صحافية وبرامج تلفزيونية، تعبران عن جوهر ما يعتمل على الساحة العربية من سجالات حيال ما يجري في مصر من مواقف عصبية، أوجبت تقسيما من السهل ملاحظته عند تتبع التوجهات التي ينطلق منها من دلوها في حوارات متتابعة بحسن أو سوء نية.

أدى تسليط الأضواء على مصر بسبب الأزمات الإقليمية التي تواجهها إلى وجود ما يشبه الفرز العربي، حيث انحازت فئة لتأييد الموقف الرسمي للقاهرة من الأزمة الليبية بكل تعقيدات، ورفضت أخرى التوجهات الرامية للتدخل العسكري وشككت في أهدافه، ودار أخذ ورد طويلين حول أليات التعامل مع أزمة سد النهضة، وجرى التركيز على الإخفاقات التي أدت إلى هذه النتيجة السلبية أكثر من غيرها.

يتحكم الموقف السياسي، مع أو ضد، في جزء معتبر من التقييم العام، ويلعب البعد التاريخي دورا مهما في تحديد البوصلة، كما يسهم المنحى الأيديولوجي بجانب واضح، وهي تصنيفات مبدئية يمكن من خلالها تلمس أين يقف الشخص، وما هو انطباعه عما يجري في مصر، لأنه مثل بعض الدول يتأثر بمجموعة من المحددات التي يصعب تغييرها مهما كانت الصورة جلية أمام صاحبها. هذا ليس حديثا للتصنيف أو

محمد أبو الفضل

كاتب مصري

داعمون ورافضون، أو العكس، مفردتان خرجتا من جوهر نقاشات متعددة تدور على مواقع التواصل الاجتماعي وكتابات صحافية وبرامج تلفزيونية، تعبران عن جوهر ما يعتمل على الساحة العربية من سجالات حيال ما يجري في مصر من مواقف عصبية، أوجبت تقسيما من السهل ملاحظته عند تتبع التوجهات التي ينطلق منها من دلوها في حوارات متتابعة بحسن أو سوء نية.

أدى تسليط الأضواء على مصر بسبب الأزمات الإقليمية التي تواجهها إلى وجود ما يشبه الفرز العربي، حيث انحازت فئة لتأييد الموقف الرسمي للقاهرة من الأزمة الليبية بكل تعقيدات، ورفضت أخرى التوجهات الرامية للتدخل العسكري وشككت في أهدافه، ودار أخذ ورد طويلين حول أليات التعامل مع أزمة سد النهضة، وجرى التركيز على الإخفاقات التي أدت إلى هذه النتيجة السلبية أكثر من غيرها.

يتحكم الموقف السياسي، مع أو ضد، في جزء معتبر من التقييم العام، ويلعب البعد التاريخي دورا مهما في تحديد البوصلة، كما يسهم المنحى الأيديولوجي بجانب واضح، وهي تصنيفات مبدئية يمكن من خلالها تلمس أين يقف الشخص، وما هو انطباعه عما يجري في مصر، لأنه مثل بعض الدول يتأثر بمجموعة من المحددات التي يصعب تغييرها مهما كانت الصورة جلية أمام صاحبها. هذا ليس حديثا للتصنيف أو